



الكرسي الرسولي

اليوم العالمي الرابع والعشرون للمريض

الوثوق بيسوع الرحيم على مثال مريم

"مهّما قال لكم فافعلوه" (يو ٢، ٥)

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

يقدم لي اليوم العالمي الرابع والعشرون للمريض المناسبة لأكون بقرّبكم بشكل خاص، أيها الأشخاص المرضى الأعزاء، وبقرب الذين يعتنون بكم.

وإذ سيحتفل بهذا اليوم العالمي رسمياً في الأرض المقدّسة، أقترح هذه السنة أن تتأمّل بالرواية الإنجيليّة لعرس قانا (يو ٢، ١-١١)، حيث صنع يسوع أوّل معجزة له بفضل تدخل أمّه. وبالتالي فإن الشعار المختار - الوثوق بيسوع الرحيم على مثال مريم: "مهّما قال لكم فافعلوه" (يو ٢، ٥) يندرج جيّداً داخل البويبل الاستثنائي للرحمة. إن الاحتفال الافخارستي الرئيسي لهذا اليوم سيقام في الحادي عشر من فبراير / شباط 2016، الذكرى الليتورجيّة للطوباوية مريم العذراء سيّدة لورد، وتحديدًا في الناصرة، حيث "الكلمة صار بشراً وسكن بيننا" (يو ١، ١٤). في الناصرة بدأ يسوع رسالته الخلاصيّة، ناسياً لنفسه كلمات النبي أشعيا كما يشير الإنجيلي لوقا: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأَبَشِّرَ الْفُقَرَاءَ وَأَرْسَلَنِي لِأَعْلِنَ لِلْمَاسُورِينَ تَخْلِيَةَ سَبِيلِهِمْ وَلِلْعَمِيَانِ عَوْدَةَ الْبَصَرِ إِلَيْهِمْ وَأَقْرَجَ عَنِ الْمَظْلُومِينَ وَأَعْلِنَ سَنَةَ رِضًا عِنْدَ الرَّبِّ" (لو ٤، ١٨-١٩).

إن المرض، ولاسيما المرض الخطير، يضع الحياة البشريّة في أزمة على الدوام ويحمل معه تساؤلات تحفر في العمق. قد تكون اللحظة الأولى تمرّداً أحياناً: لماذا حصل هذا الأمر لي أنا بالذات؟ وقد يشعر المرء باليأس ويفكّر بأن كل شيء قد ضاع وبأنه لم يعد هناك معنى لأي شيء...

في هذه الأوضاع، يتعرّض الإيمان بالله للامتحان من جهة وفي الوقت عينه يظهر قوته الإيجابية بكاملها. ليس لأن الإيمان يجعل المرض والألم يختفيان أو الأسئلة التي تتبثق عنهما؛ وإنما لأنه يقدم قراءة يمكننا من خلالها أن نكتشف المعنى الأعمق لما نعيشه؛ قراءة تساعدنا لنرى كيف بإمكان المرض أن يصبح الوسيلة للوصول إلى قرب حميم من يسوع الذي يسير بجانبنا، حاملاً الصليب. وهذه القراءة تعطينا إياها مريم الأم، الخيرة في هذا المجال.

في عرس قانا، مريم هي المرأة المهمّة التي تتبّه لمشكلة مهمّة جدّاً للعروسين: نغد الخمر، علامة الفرح والعيد. فمريم تكتشف الصعوبة، وتأخذها بنوع ما على عاتقها، وتكتم، وتصرف بسرعة. لم تغف مكتوفة اليدين، كما وأنها لم تُصيغ وقتها في الحكم على الآخرين، بل توجّهت إلى يسوع وعرضت عليه المشكلة هكذا كما هي: "ليس عندهم خمر" (يو ٢، ٣). وعندما قال لها يسوع أنه لم يحن الوقت بعد ليظهر نفسه (را. الآية ٤)، قالت للخدم: "مهّما قال لكم

فأفعلوه" (الآية ٥). فأتّم يسوع عندها المعجزة محوّلًا كميةً كبيرةً من الماء إلى خمر، خمر يظهر سريعاً أنه الأفضل في العيد كلّهُ. ما هو التعليم الذي يمكننا أن نستخلصه من سرّ عرس قانا لليوم العالميّ للمريض؟

تشكّل وليمة عرس قانا أيقونة للكنيسة: في الوسط نجد يسوع الرحوم الذي يتمّم الآية، وحوله الرسل، بواكير الجماعة الجديدة؛ وبالقرب من يسوع وتلاميذه نجد مريم، الأمّ الحكيمة والمصلية. فمريم تشارك في فرح الناس العاديين وتساهم في زيادته؛ تتشجّع لدى ابنها من أجل خير العروسين والمدعوين كافة. وبسوع لم يرفض طلب أمّه. كم من الرجاء يحمل هذا الحدث لنا جميعاً! لدينا أمّ عيناها ساهرتان ومحبتان، تماماً كابنها، وقلبها الوالدي يفيض بالرحمة مثله أيضاً، وبداها تريدان المساعدة مثل يدي يسوع اللتين كانتا تكسران الخبز للجائع وتلمسان المرضى فتشفيهم. هذا الأمر يملؤنا ثقة ويفتحنا على نعمة المسيح ورحمته. إن شفاعة مريم تجعلنا نخبر العزاء الذي من أجله، بارك بولس الرسول الله قائلاً: "تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، أبو الرأفةِ وإلهُ كلِّ عَزاء، فهو الذي يُعزِّبنا في جميع شدائدنا لنستطيع، بما تلقى نحن من عَزاءٍ من الله، أن نُعزِّي الذين هم في آيةٍ شديدةٍ كانت. فكما تفيض علينا آلام المسيح، فكذلك بالمسيح يفيض عزّاوناً أيضاً" (٢ قور ١، ٣-٥). مريم هي الأمّ "التي تعزّت" وتعزّي أبناءها.

في قانا، تبرز الملامح المميزة ليسوع ولرسالته: فهو الذي يساعد من هو في ضيق وعوز. وسوف يشفي بالفعل، في خدمته المسيحانية، العديد من الأمراض والعلل ومن الأرواح الخبيثة، وسيهب البصر للعميان، وسيجعل العرج يمشون، وسيعيد الصحة والكرامة للبرص، وسيقيم الموتى وسيعلن البشري السارة للفقراء (را. لو ٧، ٢١ - ٢٢). إن طلب مريم خلال وليمة العرس والذي أوحى به الروح القدس إلى قلبها الوالدي، لا يظهر فقط سلطان يسوع المسيحاني، بل رحمته أيضاً.

في اهتمام مريم ينعكس حنان الله. وهذا الحنان نفسه يظهر في حياة أشخاص كثيرين يتواجدون بالقرب من المرضى ويدركون احتياجاتهم، حتى تلك التي يصعب إدراكها، لأنهم ينظرون بأعين ملأى بالمحبة. كم من مرة يوضع بين يدي العذراء تضرعٌ أمّ إلى جانب سرير ابنها المريض، أو ابن يعتني بوالده المسنّ، أو حفيد يتواجد بالقرب من جدّه أو جدّته! فلأعزّائنا المتألمين بسبب المرض، نطلب الصحة أولاً؛ وبسوع نفسه قد أظهر حضور ملكوت الله خاصة من خلال الشفاءات: "اذهبوا فأخبروا يوحنا بما تسمعون وترّون: العميان يُبصرون والعرج يمشون مشياً سوياً، البرص يبرأون والصم يسمعون، الموتى يقومون" (متى ١١، ٤ - ٥). لكن المحبة التي ينعشها الإيمان تجعلنا نطلب من أجلهم ما هو أعظم من الصحة الجسدية: نطلب سلاماً، طمأنينة حياة تنطلق من القلب وهي عطية من الله، ثمرة الروح القدس التي لا يرفضها الآب أبداً للذين يسألونه إياها بثقة.

في مشهد قانا، وإضافة إلى يسوع وأمّه، يوجد أولئك الذين يُدعون "الخدم"، ويتلقون من مريم هذا التوجيه: "مهّما قال لكم فافعلوه" (يو ٢، ٥). بالطبع إن المعجزة تحدث بفضل عمل المسيح؛ ولكنه يريد أن يستعين بمساعدة الإنسان لإتمام الآية. لقد كان بوسعه أن يظهر الخمر فوراً في الأجران، لكنه يريد الاعتماد على تعاون الإنسان ويطلب من الخدم أن يملأوها ماءً. كم هو ثمين ومقبول عند الله أن نكون خداماً للآخرين! فهذا الأمر يجعلنا، وأكثر من أي شيء آخر، شبيهين بيسوع الذي "لم يأت ليخدم، بل ليخدم" (مر ١٠، ٤٥). إن هذه الشخصيات المجهولة في الإنجيل تعلّمتنا الكثير. فهي لا تطيع فقط، بل تطيع بسخاء: تملأ الأجران إلى أعلاها (را. يو ٢، ٧). تثق بالأمّ، وتعمل فوراً وبشكل جيّد ما يُطلب منها، بدون تذرّم، وبدون حساب.

في هذا اليوم العالمي للمريض، يمكننا أن نطلب من يسوع الرحيم، وشفاعة مريم أمّه وأمانا، أن يهبنا جميعاً الاستعداد الدائم لخدمة المحتاجين، لاسيما أخوتنا وأخواتنا المرضى. قد تبدو هذه الخدمة متعبة وشاقة أحياناً، بيد أننا واثقون بأن الرب لن يتوانى عن تحويل مجهودنا البشري إلى ما هو إلهي. نحن أيضاً باستطاعتنا أن نتحول إلى أياد وأذرع وقلوب تساعد الله على القيام بعجائبه، التي غالباً ما تكون خفية. بإمكاننا نحن أيضاً، الأصحاء والمرضى، أن نقدّم أتعابنا وآلامنا على غرار المياه التي ملأت الأجران في عرس قانا وتحولت إلى الخمر الأطيب. من خلال تقديم المساعدة المتواضعة للمتألم، كما في حالة المرض، نحمل على أكتافنا الصليب اليومي ونتبع المعلم (را. لو ٩، ٢٣)؛ وإذا كان اللقاء مع المرض يبقى لغزاً مستمراً، فيسوع يساعدنا على الكشف عن معناه.

إذ عرفنا كيف تتبع صوت التي تقول لنا أيضًا "مهنا قال لكم فافعلوه"، ففسوع سوف فحول دوما مفاة ففانا إلى فمر فافر. ففذا فسساعد فذا الفوم الفامل للمرفض، والفذ ففحتفل به رسمفا فف الأرض المقفسة، على ففقق الأمففة الفف عبرفف عنها فف رسالة إعلان الفوفل الاستفناف للرفمة: "فلففمفف فذه السنة الفوفلففة المفاشة فف الرفمة من فعزفز الفلافف مع الففوففة والإسلام ومع باقي الفقالفف الفففة الأفرى؛ ولففعلنا مفنفعفان أففر على الفوار من أجل بلوف مسفوف أففل من الفعارف والففاهم المففابل؛ ولففزل كل شكل من أشكال الانغلاق والاحتقار ولففبذ كل شكل من أشكال العنف والفمفمز" (وجه الرفمة، ٢٣). فمكن أن ففبف كل مسففشفى أو دار للعبافة علامة مرئفة ومكانا لفعزفز ثقافة الفلافف والسلام، ففث فساهم ففربة المرض والألم، فضلا عن الإعبانة المفهفة والأفوفة، فف ففطف كل ففوف وکل انقسام.

وفشكل مثالا على ذك الرفاهفان الفان أفعلنا قففسفان فف شهر أبار مابو الفائف: القفبسة مرهم أفونسفان دانفل فطاس والفقفبسة مرهم فسوع المصلوب بوافرف، وهما من بنات الأرض المقفسة. فكانت الأولى شاهفة للوفاة والوفاة إذ قفمف شاهفة واضحة عن أهمية أن نكون مسؤولفن عن بعضنا البعض وأن نعفش لنفم بعضنا. أما الفائف، المرأة المففاوضة والأمفة، فكانت مطفعة للروح القدس وأصبفت أفاة للفلافف مع العالم المسلم.

أفمنف أن ففرك روح مرهم، أم الرفمة، فمفب الأشخاص المففزمفن فف ففمة المرضف والمففلمفن. "فلففراق عذوفة نظرفها كل واحد منا فف فذه السنة المقفسة، فف فففمفف فمفعا من إعبافة اكتشاف فرح فنان الله" (وجه الرفمة، ٢٤) وحمله مطبوعا فف قلوبنا وفففرفانا. لنكل إلى شفاعة العذراء المفاوف والمفن مرفقة بالأفراح والمواساة ولنرفع إليها صلواتنا فف ففففف بنظرها الرؤوف ففونا، بالأفص فف أوقات الألم، ولففعلنا أهلا للففامل بوجه الرفمة، ابنها فسوع، الفوم وإلى الأفب.

وأمنفم فمفعا بركاتف الرسولفة مرفقة ففذه الرسالة.

صفر عن الفائفان، 15 سبفمبر / أفلول 2015

ذكرى الطوباوفة العذراء مرهم الأم الفزفنة

البابا فرنسفس

©فمفب الفقوق مففوفة - فاضرة الفائفان 2015